

وشفا كين للدماء . وما دفعهم من أقصى بلادهم في آسيا ،
إلا حسب الفتح والاستعمار . وما أشبههم في العصر الحديث
— لا بألمانيا وحدها — ولكن بكل دولة من تلك الدول
الكبرى الفاعرة فاعها للشرق وخيرات الشرق تبغى استلابها
والتهامها ، استلاب اللصوص والتهام القطار . وكان يظن أنهم
القوة لا تهزم ، فكفكف المالك غربهم ، وفلوا سيوفهم ،
وردوهم داحرين على أعقابهم في جملة مواقع حاسمة قاصمة . وزالت
بذلك خرافة قوتهم .

أما الفرنجة فقد حركتهم إذ ذلك أطاع استعمارية كذلك ،
وشنوا الحروب على سواحل البحر الأبيض الشرقية تحت ستار
من المسيحية — والمسيحية الطاهرة منهم براء — وكانت هذه
السواحل من شمال البلاد الحلبية إلى الشامية إلى الفلسطينية في
جملة ممتلكات مصر ، يعيش فيها جيماً شعب واحد متحد الشارب
مجتمع الأهواء متجانس المقومات ، له دينه ولثته وجنسه وتقاليده
وله مشاعره المتشابهة ومصالحه المشتركة . فذاد عنها سلاطين
مصر الأتية ، عارفين للدين حرمة ، وللوطن كرامته ، ودافعوا
عنها دفاع المستميت ، لا وني ولا وجل .

وإلى جانب ذلك كله كانت لهم حروب أخرى بعضها
لتأديب أمير شرق عصا الطاعة ، أو رد عدوان جار من جيرانهم ،
أو نحو ذلك . وأبدى كثير منهم سلاطين وأمرأه وجنوداً
ضروباً من الشجاعة خارقة .

وكانت هذه الحروب — في كثير من ظروفها — منشطة
لشياطين الشعراء والأدباء ، فتأبوا سيرها ونحواتها ، مستمنعين
منها الوحي ، مستشعرين الإلهام . فدحوا الملوك والأمراء الذين
أبدوا من ضروب الشجاعة والمهارة ما استحق التخليد ، وكان
لأعمالهم أثر مجيد في الانتصار . وحسوا وفاخروا بما تال جيش
مصر من الظفر ، ووصفوا الوقائع وما لابسها من حوادث
وما صاحبها من آلات القتال ، كالرمح والسيوف والخيل
واللامات ، وسجلوا بذلك كله كثيراً من حوادث أجيالهم ،
وشاركوا النصر إلى حد ما في آلامه وأحلامه .

ولم يقصر الكتاب الناثرون عن إخوانهم الشعراء في هذا
المضمار . فقد كان بمصر حينذاك ديوان من دواوين الدولة خاص

طرائف من العصر المملوكي :

أدب الحرب

للأستاذ محمود رزق سليم

ما أكثر امتلاء العصر المملوكي بالحروب الخارجية ، وما كان
أسرع ملوكه وأمرأه إلى تلبية نداءاتها كلما دعت ، والاستجابة
لها كلما أهابت . ومن يتصفح تاريخ هذه الحقبة الفريدة من
تاريخ مصر يجد أن جيشها كان يكافح عدوين لدودين طاغين
مستدين ، هما التتار والفرنجة . ولم يكن في كفاحه متجنبياً
ولا معتدياً ، وإنما كان يذود عن ممتلكات مصر وأرض المسلمين
ومقدساتهم . فلم تكن حروبه حروب أطاع وأهواء ، ولكن
حروب دفاع ورد اعتداء . فهي حروب مشروعة لها سند من
الدين والعقل والقانون .

أما التتار فكانوا في بداية أمرهم وفي جلته ، وثنيين جهلاء ،

وإن كانت تتكرر على مقربة منا في فلسطين ولكننا نقول :
إننا في حاجة وقت السلم إلى صفات لا تقل عن الصفات التي
تحتاجها الأمة وقت الحرب بل قد تزيد .

٧٤ — إننا في عصر يتطلب انتزاع النصر في السلم كما
انتزعه أسلافنا في الحرب ؛ وتحضير هذا يتطلب جمع القوى المشتقة
وتنظيمها وتميئتها ، وهذا التنظيم نوع من الكفاح الدائم المستمر
٧٥ — إنه يتطلب نوعاً من الهدوء والثبات والتركيز ،
والإقدام وهي من قبيل الصفات التي تمكن بها أسلافنا من انتزاع
النصر في المارك التي ذكرتها أو أشرت إليها في الكلام من
حسن الأكراد ولا أشك في أن هذه الصفات كانت فينا وأؤمن
أنها ستخرج في القريب لكي نحقق في السلم ما يرى الكثيرون
أنه بعيد التحقيق وليس في طاقة شوب الشرق أن تقوم به ،
ولكن وثنيها نحو تحقيق مثاها العليا ستجعل هذا الرأي حقيقة
مائلة للعالم أجمع .

أحمد رمزي

والأمصار . وتعود من فضل عن شبح السيف السائب إلى حلقات الإسار . ففرقة منهم تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبنى ما هدم التتار بالشرق وتمليه تحصيلنا . وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة ، وتتسلم هضاباً سامقة ، فهي بحمد الله البانية المهامة ، والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقمه الله وجرده سيفاً ففرى ، وحملت رياح النصره ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى . وكونته السعادة ملكاً إذا رأته في دستها قالت تعظيماً له ما هذا بشراً ... إلى آخر هذا المكتوب .

وقد نظم أديب عصره وشاعره محي الدين بن عبد الظاهر ، هذه الأبيات يصف فيها جنود مصر ومغامرات بيبرس في حرب التتار ، فقال :

تجمع جيش الشرك من كل فرقة

وظنوا بأنا لا نطيع لم غلبا
وجاءوا إلى شط القرات ومداروا بأن جياذ الخليل تقطعه وثبنا
وجاءت جنود الله في المدد التي تيمس لها الأبطال يوم الوفى محييا
فعمنا بسد من حديد سباحة إليهم فاستطاع العدو له تقبا
واعتقادنا أن هذه الأبيات بقايا قصيدة طويلة بارعة للقاضي

محيي الدين . وهي تحدثنا في طلاقة ووضوح بما كان ثم من شجاعة بيبرس وجنوده . فإنه خاض نهر القرات بنفسه للقضاء التتار على شاطئه الآخر ، فاندفع جنوده في إثره خائضين ، فدحروا العدو وشقتوا شمله . وفي البيت الثالث يصف الشاعر الجنود بأنها جنود الله ، وفي ذلك دلالة على عقيدتهم في أنهم إنما يخرجون للجهاد في سبيل الله وحماية دينه . وقد أبدع الشاعر في البيت الرابع إذ يقول « فعمنا بسد من حديد » كناية عما يلبسون من درع وعما يحملون من سلاح ، وعمالمهم من كثرة ، وعما فيهم من جرأة . وهذه أم أدوات النصر ، وقد انتصروا فعلاً ، فإن العدو لم يستطع لهذا السد العظيم تقباً ، وفي العبارة الأخيرة شيء من الاقتباس وفيه إشارات بتشبيه سد هذا بسد ذي القرنين .

وقد نظم الشاعر بدر الدين يوسف بن المهمن دار في نفس الواقعة أبياتاً بدعية دقيقة الوصف رائحة التصوير تنضح بالمجد وتوحى بالفخار وتسجل عظمة أولئك الأسلاف الصياد والفضافر الصناديد : ومن هذه الأبيات قوله :

بالكتابة وهو « ديوان الإنشاء » تصدر عنه الرسائل الرسمية الهامة . وبلى أمر الكتابة فيه حذاق المنشئين وبارعوم . وكان في جملة الرسائل التي يمنون بكتابتها « البشارات » وهي أنواع ، ومنها : البشارة بانتصارات الجيش على أعدائه ، فيوصف فيها تحرك الجيش واستمداده للاشتباك في القتال وما يأتيه السلطان أو أهوانه من ضروب الفسامة والشجاعة ، وما يصبونه على عدوم من أهوال ، وما يصيبونه بعد هذا من نصر وظفر ، إلى غير ذلك . وكانت هذه الرسائل تكتب بعبارة أدبية طريفة مطولة يجري أسلوبها على الطريقة الفاضلية أو النباتية ، يبدع فيها الكتاب ما شاء لم الإبداع والفن الكتابي الذي يسلكون سبله . وتنتشر هذه الرسائل على الناس أو تتلى في المجمع . فهي إلى حد ما شبيهة بما يكتبه مراسلو الصحف في أيامنا ، ممن يصحب الجيوش في تحركاتها . وذلك لما يسرى فيها من روح أدبية وزرعة عاطفية . ومن هنا تفارق البلاغات الرسمية الحربية التي يذمها أولو الشأن اليوم عن حركات الجيش في لطف وللمجاز . ولو استطعنا جمع هذه البشارات كلها لكان لنا منها سجل أدبي رائع عن حروب المماليك وانتصاراتهم .

وقد روى أن الظاهر بيبرس سلطان مصر غزا في الشام ، واستطاع بجيشه المصري أن يوقع بالتتار وبذل الفرنجية ويمنع المدن المنيمة ويدك الحصون المستعمية . وقد شارك جنوده وعماله بيده في أداء أعمالهم ، وأظهر خوارق من المتأمرات . ولما فتح قيسارية — وكانت من قلاع الفرنجية ومدنهم الحصينة — كشف بلادها وقوم خراجها ، ووزع ذلك كله على أسرائه الذين شاركوه في جهاده . وكتب بذلك « مكتوب جامع بالتمليك » وهو ضرب آخر من الرسائل الرسمية . وقد جاء في مطاله بعد الحمد والصلاة ما يلي في وصف الانتصار :

« إن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المجددية أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً . وهزمت من التتار والفرنج المدوين ، وربطت من الملح الأجاج والمذب القرات بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الإسلام تذلل الفرنج بتزوم في همر الدار ، ونجوس من حصونهم المانعة خلال الليار

كأنما كل برج حوله فلك من المهابيق ترى الأرض بالشهب
فما جأتها جنود الله يقدمها غضبان لله لالملك والنشب
كم رامها ورامها قبله ملك جم الجيوش فلم يظفر ولم يجب
لم ترض همته إلا الذي قدمت للعجز عنه ملوك البجم والعرب
ثم أخذ الشاعر في مدح السلطان ثم وصف جيشه ووصف
الحرب منوها بالأغراض التوخاة منها ، إلى غير ذلك من
الأغراض الشعرية .

وفي عام ٦٩١ هـ فتح السلطان الأشرف خليل قلعة الروم ،
فهناك شاعره هذا وهو القاضي محمود الحلبي بقصيدة رائعة على غط
القصيدة السالفة في الروعة ودقة الوصف وجمال التصوير ووضوح
المعنى . وقد بدأها بوصف راية السلطان وهي صفراء اللون ، فكان
له من اصقارها مدد جميل لوصفه قال :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر فن كيقباز إن رآها أو كيخسرو
إذا خفقت في الأرض تهدي بنورها

هوى الشرك واستعمل الهدى وانجلى الثغر
وإن نشرت مثل الأصائل في وفى

جلا النقع من لآلاء ظلمتها البدر
وإن يممت زرق المدى سارحتها

كثاب خضر نحتها البيض والسمر
كأن مشار النقع ليل وخفتها

بروق وأنت البدر والفلك والبحر
لها كل يوم أين سار لوأؤها

وفتح بدا في إرفتح كأنما سما بدت ترى كواكبها الزهر
فكم وطئت طوعا وكرها ماعقل مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر

وكان الأدب ابن جحة الحموى من خلسان سلطان مصر
الملك المؤيد شيخ الحمودى اتصل به قبل سلطنته أيام أن كان أميراً

في بلاد الشام ، وقدم إلى مصر بعد سلطنته وأقام في خدمته ردجا .
وكان المؤيد قبل سلطنته قد وقعت فتن بينه وبين سلطان مصر

حينذاك الناصر فرج بن برقوق . فانهزم فرج أمامه في ضيعة
من ضياع الشام اسمها « اللجون » فكان ذلك مثاراً لشاعرية

ابن حجة إذ مدح المؤيد وذكر المركة ووصف ما دار فيها موقفاً
في كثير من أبياته . فقال يخاطب المؤيد :

يا حامي الحرمين والأنصى ومن لولاه لم يسمر بمكة ساسر
والله إن الله نحوك ناظر هذا وما في العالمين مناظر

والخيل تطفح في المجاج الأكر
ووهى الجبان وساء ظن المجترى
فوق القرات وفوقه نار ترمى
ومنها :

ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبي
لما سبقنا أسهما طاشت لنا

لم يفتحوا لارى منهم أعياننا
قتسبوا هربا ولكن ردمهم

وانظر حسن التعليل ، أو توكيد المدح بما يشبه التهم ،
في قوله :

ما كان أجرى خيلنا في إرم لو أنها برء ومهم لم تعثر
ومنها :

وجرت دماؤهم على وجه الثرى حتى جرت منها مجارى الأنهر
والظاهر السلطان في آثارهم يذرى الرءوس بكل غضب أبت

ذهب الغيار مع التجيع بصقله فسكأنه في غمده لم يشهر
ومن سلاطين مصر الأشرف خليل بن قلاوون . وقد حارب

كذلك في بلاد الشام وفتح مدينة « عكا » الحصينة بعد أن
رامها بالنجنيق وهدم سورها وقلعتها . وكانت بيد الفرنجة .

فدحه القاضي شهاب الدين محمود الحلبي بقصيدة بائسة في نحو
خسة وستين بيتاً . قال في مطلعها :

الحد لله ذلت دولة الصلب وهز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت

رؤياه في النوم لا استحييت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها في البحر للشرك عند البر من أرب

عقيدة ذهبت أيدي الخطوب بها
دهراً رشدت عليها كف مفتصب

لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت
في البحر والبر ما ينجي سوى الحرب

كانت نخيلنا آمالنا فترى أن التفكر فيها غاية العجب
أما الحروب فكم قد أنشأت فتنا شاب الوليد بها هولاً ولم تشب

سوران بر وبحر حول ساحتها داراً وأدناها أنأى من المطب
مصفح بصفاح حولها أكم من الرماح وأبراج من اليلب

مثل الفأهم تهدي من سواقتها
بالنبل أضفاف ما تهدي من السحب

والرماح ونحوها من آلات القتال ، ومنهم من أخرج فزله عن حماسيا ، فاستعمار لأدواته وملابساته مالمحرب من أدو وملابسات . - ومن العليف ما يروى أن الأمير « الع الجوباني » الذي كان نائبا عن سلطان مصر في كفالة الشا ، زمنادما فضلاء الأدياء لكي ينظموا أبيانا تكذب على أسنة الرما وعددها أربعة . فتبارى في ذلك كثيرون . ومنهم فتح ال ابن الشهيد فقال على لسان الريح :

إذا الفبار علا في الجو عشيره فأظلم الجوما للشمس أ
هذا ستاني نجم يستضاء به كأنني علم في رأسه
والسيف إن نام ملء الجفن في علق فإني بارز للحرب خطه
إن الرماح لأغصان وليس لها سوى النجوم على العيدان أز
محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

فرج على « اللجون » نظم عسكريا وأطاعه في النظم بحر وافر
فأبنت منه زحافه في وقفة يا من بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرم دارت عليهم من سطاك دوائر
و على ظهور الخيل ماتوا خيفة فكان هاتيك السروج مقابر
ومنها :

وإذا مددت يراع رححك ماله إلا قلوب الدارعين محار
ونعال خيلك كالعيون وما لها إلا حجاجم من قتلت محاجر
ويعتبر القتال بين السلطان فرج وأميره شيخ حربا أهلية
إذ أن كليهما من رجال الطبقة الحاكمة المصرية حينذاك وما كان
أكثر الحروب الأهلية ووقائهما في هذا العصر ا

و بطول بنا القال لو استرسلنا في الحديث . غير أننا نختتمه
بأن نذكر أن الرجالين كانوا في عداد الأدياء عناية بذكر الوقائع
ووصف الحروب ، وأن الشعراء طرءوا في باب الوصف ، السيوف

ظهر حديثاً :

أعنف ثورة على الرق الانساني

الشاعر الكبير محمود حسن اسماهيل

في ديوانه الجديد

أين المفر

أقرب طريق لك سر المرأة ،
وسحر الطليعة ، وعذاب الأغلال

توزيع دار الكتب الأهلية بميدان الأوبرا

طباعة نادرة وعدد النسخ محدود

س الثمن ٢٥ قرشاً عدا البريد

وزارة المعارف العمومية

إعلان مناقصة

تقدم المعطامات بنوايف حضرة
صاحب العزة وكيل المعارف المساعد
بشارع الفلكي بمصر أو بالبريد الموصى
عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها في
داخل الصندوق المخصص لذلك في إدارة
المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة
من صباح يوم ١٠/٧/١٩٤٨ عن توريد
خامات الأعمال الصحية والسمكرة
اللازمة للمدارس الصفائية في عام
١٩٤٨ - ١٩٤٩ .

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة
المذكورة من إدارة التوريدات بشارع
سقية زغلول بمصر نظير مبلغ ٢٠٠ ملجم
٩٥٤٣